ثالثاً : تعليقات ومناقشات ومطارحات

المجمعيّ الدبلوماسي ابراهيم القطّان

للدكتور عبد الهادي التازي

كان علينا أن نحضر المؤتمر الثقافي العربي الرابع في الإقليم السُّوري من الجمهورية العربية المتحدة في أواخر غشت ١٩٥٩ ، وبوصولنا إلى دمشق عرفنا أن اللّقاء تأجّل إلى اليوم الخامس من شتنبر ، وهنا وردت علينا فكرة القيام برحلة للمملكة الأردنية الهاشمية لزيارة معالمها وخاصة بيت المقدس أنقذه الله من الرِّجس ...

وبما أننا ننتسب إلى أسرة التعليم فقد فكّرنا في أن نؤدّي الزّيارة بادىء الأمر لوزارة التربية والتعليم في عمان ...

أحاول أن أعرف اليوم البناية التي دخلناها والتي كانت تحتضن قادة التعليم ورؤساء الأقسام في ذلك العهد ، لكنّي لم أنجح في الوقوف على آثار ذلك المنطلق ... إن عمان اليوم غدت عملاقاً عظيماً تتلاشى معه وأمامه سائر صور الماضي !

كان الأستاذ ابراهيم القطّان أوّل من استقبلنا قبل أن ندخل لمكتب سماحة الشيخ محمد الأمين الشّنقيطي ... ومنذ اللحظات الأولى شعرنا أننا أمام إخوةٍ لنا كأننا كنّا على معرفةٍ سابقة قديمة بهم ...

ما أزال أذكر عرض الأستاذ القطّان عن حالة التعليم بالمملكة أنذاك وحماسه في إعطائنا صورةً كاملةً عن الحالة التربوية في البلاد .

وقبل أن نودّع الوزارة إلى فندق (فيلّاديلفيا) قدّم إلينا أعضاء الوفد الأردني للمؤتمر الذي سينعقد في دمشق وكان يتألف من الأساتذة : الاستاذ عبد الهادي التازي رئيس

الوفد المغربي للمؤتمر الثقافي العربي الرابع المنعقد بدمشق، ومحمد نوري شفيق و فائز الغول و الأستاذ طلعت السيفي. فعل ذلك ليكسبنا أصدقاء في المؤتمر قبل الموعد.. أطرف من هذا أنه ذكر لنا إسماً أردنياً رابعاً قال: إنه سيلتحق بكم من القاهرة ضمن وفد الأمانة العامّة لجامعة الدّول العربية، ولم يكن هذا الأردّني غير الدكتور ناصر الدين الأسد الذي ما يزال أمام عيني إلى الآن وهو في عنفوان الشباب تعلوّ رأسه وفرة غُدَافية اللّون !

لقد كان أجملَ معروف قدمه إلينا الأستاذ القطّان تسهيل زيارتنا إلى المسجد الأقصى... الأمر الذي تَمَّ في أحسن الظّروف حيث كان هناك في استقبالنا الشيخ مصطفى الأنصاري رئيس سدنة المسجد الأقصى آنذاك ولقد كان من أبرز ما سجلته ذلك اليوم الأربعاء ٢٨ صفر الخير ١٣٧١هـ، ٢ شتنبر عام ١٩٥٩ م ما يتصل بالتحفة المغربية الثمينة التي توجد في خزانة المتحف الإسلامي بالقدس الشريف، ويتعلق الأمر بالمصحف الذي وقفت عليه هناك مما خطه بيده أحد الملوك المغاربة في العصر الوسيط...

إنه من الواجب عليّ أن أعترف هنا بأنني منذ ذلك التاريخ وأنا أعيش مع الشيخ القطان كلّما فتحت صفحة للبحث حول تاريخ ذلك المصحف وتحقيق القول فيه ومقارنته مع المصاحف المماثلة المرسلة لجهاتٍ أخرى من العالم الإسلامي...

سيظل ما كتبتُه عن هذا الاثر الشريف طوقاً في عنقي أدين به للشيخ القطان أسبغ الله عليه من رحماته...

نحن نعلم أنّ المغاربة ظلّوا عبر تاريخهم الطويل على صلة بهذه البقاع: علماؤهم ومرابطوهم ومجاهدوهم ظلّوا يعِنون إلى أداء واجبهم هناك، وقد كان في الهدايا التي كانت ترسل من أقصى بلاد المغرب مصاحف نفيسة خطت بعناية ودقّة...

وحتى يعبّر ملوك المغرب أنفسهم عن تعلّقهم بتلك الرّحاب قاموا بنسخ مصاحف كبرى بخط أيديهم ليجعلوها في خزائن تلك العتبات المقدسة تذكيراً بأهمية التُّربة وتعبيراً عن التشبث بها.

وهكذا فبعد المصاحف الجليلة التي أهديت إلى الحرمين الشريفين[1] قام السلطان أبو الحسن أيضاً عام ٧٤٥هـ (١٣٤٥ - ١٣٤٦م) بانتساخ مصحف برسم أن يكون خاصاً بالمسجد الاقصى، كتبه بيده وجمع الوراقين لتنميقه وتذهيبه، كما أحضر القراء لضبطه وتهذيبه، ووضع له (ربْعَة)[2] أي ظرفا ممنوعا من الإبنُوس (L,eb,ene) والعاج والصندل وغشاه بصفائح الذهب وغلفه من فوق برقاع من الحرير والديباج... وبعثه مع أبي المجد: نجل أبي الفضل محمد بن أبي مدين السابق قبل أن يتدىء بنسخ مصحف خاص لمقام ابراهيم الخليل أكمله بعده ابنه السلطان أبو عنان[3].

وقد وهم ابن خلدون عندما ذكر أن أبا الحسن أدركته وفاته قبل الفراغ من نسخ المصحف المقدسي، فقد بعث بهذا المصحف الجميل بواسطة أحد سفرائه اللامعين هو أبو المجد المذكور.. لكن النسخة التي لم يُتمها هي النسخة التي كانت برسم المقام الخليلي[4].

---

(١) لقد قام سلطان بني مرين أبو يعقوب (٦٥٥ - ٧٠٦هـ) بإرسال مصحف إلى مكة المكرمة كان بخط ابن حسني ثم قام السلطان أبو الحسن بكتابة مصحف، بذات يده وحبسه على المسجد النّبوي بالمدينة المنورة، وكان ابتداءً برسم أن يكون بشالّة بضريح جدّه يعقوب بن عبد الحق لكنه فضل أن يرسله مع ركب الأميرة مريم سنة ٧٣٨ هجرية، وكان من ضمن رجال الوفد أبو الفضل محمد بن عبد الله بن أبي مدين والقاضي أبو اسحاق ابراهيم التازي، وقد كان المصحف الثاني الذي خطه السلطان أبو الحسن عام ٧٤٢ هـ هو الذي بعث به إلى الحَرم المكي - علاوةً على المصحف السابق الذي كان بخط ابن حسني. وقد حبس عليه من الأموال سائر دكاكين (فندق البركة) بحيّ القطّانين من (فاس)، وبعثه مع أبي الفضل محمد بن أبي مدين السالف الذّكر. ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن، تحقيق د. ماريا خيسوس بغيرا، الجزائر ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م، ٤٧٥ - ٤٧٦. الإستقصاء. ١٤٠ - ١٤٧

(٢) الرُّبْعَة: الظّرف من خشب ونحوه ويقول المغاربة في تصغيرها «الرُّبَيْعَة» وقد عرف من الأمثال الشّعبية في طائفة من المدن المغربية حكاية عن اليهود: أنّهم «يهزُّون الرُّبْعة» أي إنهم «يحتالون» والأصل فيه أن بعض الإسكافيين منهم كانوا يحملون ربْعتهم ويقصدون المدينة لممارسة عملهم... غير أن منهم من كان يستعمل «الربعة» تحيُّلاً لأغراضٍ أخرى... فأصبحت «الربعة» الحيلة وكان منها المثل الشعبي الآخر: «كلّ يوم بِرَبْعته» أي كلّ يوم أو كلّ ظرف له حيلته.

(٣) يراجع ما ورد في الرسالة التي بعث بها أبو الحسن بتاريخ ٢٦ صفر ٧٤٥ يتحدث فيها عن «المصحفين الأكرمين للحرمين الشّريفين كما يراجع الخطاب الذي أجاب به إسماعيل بن قلاوون عن «المصحفين المخصصين للحرمين» ويلاحظ السكوت عن المصحف المخصص للمدينة حيث إن هذا قد عهد بالعناية به لوالد ابن مرزوق... الناصري: الاستقصا ٣/ ١٤٠ - ١٤٧ الخ...

(٤) ابن خلدون: كتاب العبر، المجلد السابع، دار الكتاب اللبناني ص ٥٥٤، ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن ص ٤٧٧.

وقد ذكر المقري، صاحب نفح الطيب، أنه رأى المصحف، الذي بيت المقدس ورأى ربْعَته وهي في غاية الصنعة[1].

وقد استمر هذا المصحف ببيت المقدس إلى السنوات الأخيرة حيث وقفت عليه يوم الأربعاء ٢٨ صفر الخير ١٣٧١ الموافق ل ٢ شتنبر عام ١٩٥٩، على ما أسلفت.

لقد كان **المصحف المريني المقدسي** ويدعى بالرّبعة المغربية- يتكون من ثلاثين جزءاً وهو على ما يؤكد الأستاذ السيد مروان أبو خلف والأستاذ نظمي أمين الجعبة، أمين المتحف الاسلامي[2] **من أروع المصاحف التي يحتضنها المسجد الأقصى، حيث إن مُعْظَم أجزائه مكتوبة على رق الغزال** وكل من هذا المُعْظَم مجلد بجلد سميك أيضا من رق الغزال وعلى كلا الوجهين هناك زخارف هندسية وكتابية، وكلّ وجه محاط بشريط زخرفي عبارة عن خيوط ذهبية وفضية متداخلة محددة من الخارج والداخل بزوجين من الخطوط الفضية، أما الوسط ففي داخله دائرتان فضيتان متحدتا المركز، وان كلا من الشريط والدوائر يحتوي على زخارف كتابية وقد كان مما كتب في الشريط الزخرفي ما يلي: «كتب هذه الربْعَة وبخطه ووقفها على التلاوة فيها ببيته المقدس شرفه الله، عبد الله عليّ أمير المسلمين بن أمير المسلمين أبي سعيد بن أمير المسلمين أبي يوسف بن عبد الحق، وكملت في أواخر ذي الحجة خمسة وأربعين وسبعمائة فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم». وقد نصت الكتابة التي على الصفحتين الأخيرتين على ما يلي: «كمل الجزء الأول من هذا المصحف الكريم المجزأ ثلاثين[3] جزءاً وكتبت جميعها بخط عبد الله عليّ أمير المسلمين بن امير

---

(١) المقري: نفح الطيب نشر د. إحسان عباس: مجلد ٤، ص ٤٠٠.

(٢) قدّم أبو خلف بحثاً مهماً بعنوان: «المتحف الإسلامي بالحرم الشريف وتاريخه ومحتوياته «إلى المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين) الذي انعقد بالجامعة الأردنية- جمادى الآخرة ١٤٠٠هـ = أبريل ١٩٨٠م، كما أن الاستاذ نظمي، أمين المتحف نشر بحثاً بعنوان «فن كتابة المصحف الشريف وتجميله في مجلة هدى الاسلام (القدس) السنة الثانية، العدد السادس جمادى الآخرة ١٤٠٤ هـ أذار ١٩٨٤ ص ٣٠ - ٤٥.

(٣) جرت عادة المغاربة على توزيع تلاوة المصحف حزبين، كلّ يوم، أحدهما يتلى صباحاً والثاني مساءً وهناك أوقاف إلى اليوم على الذين يتلون القرآن على هذا الطريق إثر صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب.

المسلمين ابي سعيد عثمان بن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ملك المغرب نفعه الله ووقفها على التلاوة فيها بالمسجد الأقصى شرفه الله كما يجب فيه من ثواب الله نفعه الله وغفر له ولوالديه ولمن دعا لهما بالرحمة آمين، وذلك في أواخر ذي الحجة سنة خمس وأربعين وسبعمائة بحضرة فاس حرسها الله، والحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً».

لقد شَعَرْتُ منذ ذلك التاريخ بآصرة رحمٍ ربطتْني بأخي ابراهيم، وهكذا فلم تكد تمضي سنة على لقاء عَمان حتى تم لنا لِقاء ثانٍ ولكن على أرض مدينة فاس العاصمة الأولى للإسلام بالمغرب الأقصى.

هناك وفي شهر أكتوبر من عام ١٩٦٠ كان لنا موعد مع الإحتفال بذكرى مرور أحد عشر قرناً على ميلاد جامع القرويين الذي يعتبر من أقدم الجامعات الإسلامية في العالم...

لقد كان على المغاربة وعلى رأسهم المغفور له الملك محمد الخامس – أن يؤدُّوا بعض ما عليهم من واجبات نحو هذا المعهد العظيم الذي نقدِّر جيداً دوره في الحفاظ على الحرف العربي بالغرب الإسلامي، وكان من الطبيعي أن تشاركنا فرحتنا بهذا العيد سائر الدول التي كان لها ملة معنا من قريب أو بعيد..

وقد كان في صدر هذه الدول المملكة الاردنية الهاشمية التي أوفدت عنها إلينا الشيخ ابراهيم القطّان الذي أبى إلّا أن تكون تحيّته لجامعة فاس قصيدة شعرية رفيعة بعنوان: «مواكب المجد» قوطع إنشادها بعاصفة من التصفيقات:

عيد الفخار وعيد العلم والأدب ... حفّته إليك وفود الغرب والعرب
جاءوا لجامعة كالنجم عالية ... شابت نواصي الليل وهي لم تشب
أفنت قروناً ومرت في حوادثها ... تزري بهن ولم تسأل عن النُّوَب
مواكب المجد في أرجائها احتشدت ... في مسمع الدهر لم تخفت ولم تغب

يا ايها الحرم الزاهي نجمه تلألأ المجد في أرجائك الرحب
وقفت حرباً على الباغي بصادقة من العزيمة والتصميم والدأب
وحلت بين الذي يبغيه من ضرر للدّين واللغة الفصحى ومن كرب

من مواطن الوحي في الأقصى وصخرته أرض النبوءة والاسراء والحسب
مهد الخليل وعيسى في قداسته جئنا بأشواقنا للمغرب العربي
نهدي التحيات والأشواق لاهبة إلى بنى عمنا والاخوة الغلب
وقد تركنا نفوساً كلها أمل يهزها الشوق لم تيأس ولم تخب
نحمي الحدود بعزم صادق ويد على الجهاد لصدّ الغاشم الكَلِب
يا أهل فاس لقد فُزتم بمكرمة تاهت على الكون في الدنيا من العجب
فزتم بجامعةٍ كالشمس مشرقة قد خلدتكم مدى الأزمان والحقب
سقياً لشعبكم، سقيا لجامعتكم سقيا لموطنكم من موطن خصب

لقد كان عطاء الشيخ ابراهيم في هذا اللّقاء عطاءً جزلًا ... فعلاوةً على قصيدته التي تركت صداها قدم إلينا كلمة تاريخية أسهم بها سماحة الشيخ محمد الأمين الشّنقيطي وزير التربية والتعليم بالأردن وكانت تحمل عنوان: «جامعة القرويين بين القديم والحديث» ...

وان الذين يعرفون – كما أسلفته – عن دور هذا الجامع في سائر الجهات التي تقع جنوب المغرب ليدركوا معنى ودلالة حديث الشيخ الشّنقيطي بالذات عن إشعاع جامعة فاس سيما والشيخ الشنقيطي يمثل أسمى تمثيل فكرة أنّ لا حدود بين أفراد المجموعة الإسلامية !!

ولقد أتبَعنا الشيخ القطان الكَرامة حيث مال، كما يقول الشعراء.. لذلك وجدناه يقوم بتغطية هذا المهرجان الذي حضره مندوبون عن القارات الخمس، في مجلة هدى الإسلام الاردنية حيث قرأنا وصفاً حيّاً أنذاك لسائر التظاهرات التي تمت بهذه المناسبة ...

وقد افترقنا وكأننا على موعد للحضور في القاهرة في يناير ١٩٦١ لحضور اجتماعات الدّورة الرابعة عشرة للجنة الثقافية التابعة لجامعة الدول العربية، كانت هناك فرصة أخرى لصلة الرحم بالشيخ ابراهيم القطان الذي اجتمعنا به هذه المرة صحبة طائفة من رجال الفكر وأقطاب العلم.

لقد ارتفعت الكلفة بيني وبين الشيخ وكان بالامكان أن نظلّ هكذا على اتّصال بيد أنه في الوقت الذي كانت الاقدار تدخر له مقاماً طويلًا في المغرب بمناسبة تعيينه سفيراً لبلاده منذ يوم ١٣ – ٥ – ١٩٦٦ إلى يوم ١١ – ٤ – ١٩٧٣ في هذا الوقت بالذات حكمت الأقدار بأن أرحل عن المغرب إلى المشرق لأمثّل بلادي أيضاً في أرض الرافدين...

ومع ذلك فقد استمرت المراسلات بيننا منتظمة تناولتْ مختلف الموضوعات وكان فيها ما يحتوي على المفاكهة في القول والمباسطة في الخطاب وهذا جانب طَريف في حياة الفقيد العزيز ينم عن أريحيةٍ وكرمِ نفس... وقد كان من أبرز تلك المراسلات ما يتصل بالتعليق والتعقيب على ما نتهاداه من بحوث ومؤلفات.. وما أزال أذكر ايثاره لي باهدائي النسخة الأولى من كتابه بعنوان :«عثرات المنجد في الآداب والعلوم والأعلام»

لقد كانت النظرة الاولى على هذا الكتاب مدعاةً للإشادة بهذا العمل الفذ الذي يدلّ على اطلاع واسع وعلى علم جم إلى جانب الدأب والنَّفَس الطويل بالاضافة إلى ما يعبر عنه من غيرة زائدة على العربية وحرص كبير على سلامة المعلومات المقدمة لأجيالنا الصّاعدة...

لقد بلغ عدد المفردات التي حققها أو ضبطها أو أوضحها **ألفين وأربعمائة وأربعاً وثلاثين مادّة**، كما بلغت صفحات الكتابة ستمائة وأربعاً وستين صفحة! إنه منجد آخر!!

وقد حبب إليّ وأنا بالمغرب أن أقوم بجردٍ للائحة المفردات التي تمسّ بلادي المغرب ممّا كان حظه في المنجد على غير ما ترتضيه الحقيقة المنشودة... مثل ما ورد عن مدينة اسنى وأنها بكسر الهمزة، وما ورد عن الاشراف العلويين من أنهم حُسَيْنيّون مع أنهم حسنيون..! وما ورد عن الجزولي وحزب البحر ومولاي بوشتى وأنّه شفيع الموسيقيين.!

لم يكن ذلك أول ولا آخر بحثٍ عرفته لقاضي القضاة الشيخ القطان الذي كان حركة لا تنضب، فقد أتحفني منذ أربع سنوات وأنا هنا في عمان بعمله الجليل الذي قام به تحيةً لمطلع القرن الخامس عشر الهجري، ويتعلق الأمر بكتابه: «تيسير التفسير» الذي جعل له (مقدمة) ينبغي أن يجعلها المهتمون بدراسة القرآن الكريم ورقة عمل يعتمدونها قبل المضي في محاولة استكشاف معاني كتاب الله، إن استخدام آيات القرآن لتأييد الفرَق والمذاهب والخلافات المذهبية واستنباط العلوم الكونيّة والمعارف النظرية الحديثة من بعض الآيات وكذلك حمله على مذهب اقتصادي معين... كلّ هذه المحاولات مما ينبغي أن ينزه القرآن عنها فلندع للقرآن عظمته وجلاله ولنحفظ عليه قدسيته ومهابته «يقول الشَّيخ القطّان».

إن المقدمة التي تعمَّد الأستاذ القطان أن يجعلها بين يدي القارىء كانت نتيجة، دون شك، لحضورٍ دائم للشيخ سواء في المؤتمرات التي عالجت الموضوع أو في المؤلفات التي أخذت تتناول مثل هذه المعلومات..

وقد كان آخر لقاء لي بالفقيد العزيز في القاهرة عندما حضرنا الاحتفال بالعيد الخمسيني لميلاد مجمعنا الموقّر حيث ظللت معه على صلة مستمرة، وكان آخر يوم ودّعته فيه هو الذي تناولت معه فيه طعام الغداء على مائدة واحدة في فندقٍ ضخمٍ قريب من منطقة الأهرام...

وقد شاءت الأقدار أن تجمع به «علاوة على مجمع اللغة العربية بالقاهرة» في مجمع اللغة العربية الأردني منذ مارس ١٩٨٠ حيث أصبحنا منتسبين لأسرةٍ واحدة على نحو ما تعززت هذه الزمالة عندما سعدت بالإنتماء إلى مؤسسة آل البيت: المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية

رحم الله الزميل العزيز رحمة واسعة،.. لقد كان يملأ المجالس بعلمه ويغمرها بفضله وكانت خطواته مسخّرة لِخدمة الناس وخدمة الصالح العام.

كانت خلاله، رحمه الله، نسيجًة وحدها، ولذلك فإنه إذا كان لي ما أرجوه بهذه المناسبة فهو أن يهتم أبناؤه وزملاؤه بما خلّفه من مذكرات ومؤلفات.. لا أقصد هنا فقط نتاجه الفقهي واللغوي والأدبي ولكن أقصد كذلك لما حرَّره، أو على الأصح بعض ما

حرره مما يتصل بحياته الدبلوماسية فما كان لي أن أبحث في وزارة الخارجية الأردنية في تقاريره، ولا في تحليلاته للأحداث من منظوره هو... ولكني مؤمن بأن التفسير إذا كان يتوفر على رصيد أدبي وعلمي وفقهي في حجم ما كان يتوفر عليه الشيخ القطان فإن تقاريره وتحليلاته ستكتسي حلة أخرى قشيبة وستكون مثلًا في الرأي الراجح والإدراك المتّزن كما أنها ستكون من جهة ثالثة عامل بناء في طريق العلاقات، وليست عامل هدم أو تثبيط ،وستكون، كما أعتقد، لبِنَةً في مد الجسور بين الناس وليس إلى نسفها...

لقد كان مثلًا في دماثة الخلق وفي حصافة الرأي... وإنّه فعلًا جدير بتكريم المملكة الأردنية له، فقد كان ابنها البار الذي أعطى وما بخل والذي ظل إلى آخر لحظة من حياته وفيّاً لِرجالها وقادتها ومبادئها... وإنّ دولةً تحتفي بعلمائها على هذا النحو، وتجيب عن ذلك الولاء بهذا الوفاء، وتستقبل تلك اللوذعية بهذه الأرْيَحية لجديرة بأن تظلّ دولةً شامخةً في سماء الخلق الرفيع وجديرة أن تعد في صدر الامم الواصلة التي تعرف كيف تحافظ على استمراريتها بإنصاف الذّاهبين والإغداق على العاملين وتمهيد الطريق للنّاشئين، إن الدولة بذلك تبرهن على أصالة محتد، وعلى صدق في الرسالة وثقة في المستقبل.

إن مثل هذه الالتفاتات مع الرّاحلين هي التي تجعل منهم قوماً خالدين وهي التي تفتح الآفاق للحاضرين، ليمضوا في خطواتهم آمنين مطمئنين...

مصطلحات الاتصال الجماهيري في اللغة العربية: تعريب أم تغريب؟

للدكتور عصام سليمان الموسى
جامعة اليرموك

يقوم الاتصال الجماهيري بدور رئيسي في حياة الانسان الحديث. فعن طريق وسائله التي أصبحت بمتناول اليد، يتزود المرء بالمعلومات والأخبار، ويستمع الى الموسيقى والأغاني، ويشاهد الأفلام والمسلسلات، ويقرأ الكتب والمجلات والصحف. ولذا، فانه من الصعب تخيل الحياة الحديثة دون وسائل الاعلام، هذه الوسائل التي تصلنا بالعالم وأحداثه، وتساعد في تنمية معارفنا، وتقدم لنا المادة الترفيهية فيمر الوقت خفيفا سريعا.

ولقد كان اختراع المطبعة في القرن الخامس عشر (في ألمانيا) ايذاناً ببدء عصر جديد، هو عصر الاتصال الجماهيري. وتميز العصر الجديد بانتشار المعرفة بفعل المطبعة على نطاق واسع لم يسبق له مثيل. غير ان اختراع الاجهزة الالكترونية، كالتلفزيون والهاتف، في منتصف القرن الماضي، قد أعطى دفعة قوية لصناعة الاتصال الجماهيري، بما اتاحته الاختراعات الجديدة من امكانية لنقل الرموز (مثل اللغة) بسرعة عبر الأثير مباشرة. ونجم عن تلك الاختراعات تطوير الاذاعة والتلفاز. هاتان الوسيلتان الاعلاميتان اللتان انتشرتا انتشارا واسعا بين الناس قاطبة.

علم الاتصال الجماهيري

لقد أدى تطور الاتصال الجماهيري، وشيوع استعمالها بين الناس، الى نشوء ظاهرة الاتصال الجماهيري. ولقد أصبحت هذه الظاهرة في القرن الحالي محط انظار الدارسين والباحثين المختصين، تعبيرا عن اهتمامهم بوسائل الاعلام، وبما تخلفه من آثار اجتماعية ونفسية مختلفة على المتلقين. ولهذا الغرض، انشئت كليات ودوائر الاعلام

والصحافة في الدول الغربية، وخاصة أميركا، لدراسة تلك الظاهرة وتدريسها. ويدرّس علم الاتصال الجماهيري حالياً باعتباره احد ميادين العلوم السلوكية الانسانية والاجتماعية. ويُعرّف البحث في الاتصال الجماهيري بانه الدراسة العلمية لسلوك الاتصال الجماهيري عند الانسان، هذه الدراسة التي تتم، في الاغلب، في أحوال تستدعي جمع المعلومات الكمية (quantitative) من مصادرها الأولية، بما يعالج أوضاع المرسل الاعلامي ووسائل الاعلام، ومضمونها من الرسائل والجمهور المتلقي [1].

الاتصال الجماهيري في الوطن العربي

تأخر دخول الصحافة الى الوطن العربي بسبب ظروفه السياسية، حتى مطلع القرن الماضي [2]. وفي القرن الحالي، اخذت محطات الاذاعة العربية في الانتشار اعتبارا من العشرينيات، ومحطات التلفزيون العربية اعتباراً من الخمسينيات.

وبسبب انتشار الوسائل الاعلامية في أقطار الوطن العربي، خاصة منذ منتصف القرن الحالي، كان لا بدَّ من اهتمام المؤسسات الرسمية والجامعات العربية بتدريس مادة الاتصال الجماهيري. ولا يقل عدد الكليات والدوائر الجامعية والمعاهد العلمية التي تدرس الاتصال الجماهيري، عن خمس عشرة مؤسسة تنتشر في مختلف ارجاء الوطن العربي [1].

مشكلة تعريب المصطلحات

تواجه الدارس العربي، الباحث والطالب والقارىء على حد سواء، لدى الاطلاع على ابحاث الاتصال الجماهيري وكتبه التي تصدر باللغة العربية، وتدرس في الجامعات والمعاهد، مشكلة بارزة، تتجلى في عدم وجود مصطلح موحد متفق عليه. ويؤدي هذا الى استعمال مصطلحات متباينة للمصطلح الاجنبي الواحد بين الكتّاب العرب أنفسهم، والى تباين استعمال المصطلح الواحد عند الكاتب نفسه في بعض الاحيان.

ويبدو ان هذه المشكلة جزء من مشكلة أكبر وأعم، لا تنحصر في علم الاتصال الجماهيري، بل تتعداه الى العلوم الانسانية والاجتماعية كافة في الوطن العربي.

فالمصطلحات التي تستعمل في تدريس هذه المواد «تختلف من بلد الى آخر، بل من جامعة الى أخرى»[٤].

ان تفاقم المشكلة على هذا النحو، يؤدي – في أبسط الأحوال – الى ايجاد التشويش والتشتت الفكري عند القاريء. بل ان تعدد المصطلحات المستعملة في الكتاب الواحد وتباينها بالنسبة إلى المصطلح الاجنبي الواحد، قد يدفع القاريء الى الاستهانة بما يقرأ أو يتعلم. ولذا فلا بد من معالجة المشكلة بايجاد المصطلحات العلمية المناسبة، وتعريبها»... وتشذيبها، وتوحيدها، وجعلها حية نامية، تواكب تقدم العلم وخطواته الواسعة»[٥]. وهذا يحتم على الباحثين العرب ضرورة التصدي لهذه المشكلة من خلال اتاحة الفرصة لهم للادلاء بدلوهم في هذا المجال، ودعوتهم الى المساهمة بما قد يتجمع لهم من آراء حول المصطلحات المناسبة، ضمن قواعد عامة تتبناها مجامع اللغة العربية.

اهداف الدراسة ومنهجها

في هذه الدراسة، سيتم ايراد عدد من الأمثلة، التي تؤيد ما ذهبنا إليه، ألا وهو وجود تباين في المصطلح العربي المستعمل في ابحاث الاتصال الجماهيري وكتبه الصادرة باللغة العربية، وأحيانا في البحث أو الكتاب الواحد.

وستتم مناقشة هذه المصطلحات بالرجوع الى تعاريفها الاصلية باللغة الانجليزية، حيثما تستدعي الضرورة ذلك. كذلك، سيتم ترجيح أحد المصطلحات، أو اقتراح البديل المناسب له، بالرجوع الى المعاجم العربية المختلفة، للاهتداء بالمعاني التي تقدمها لذلك المصطلح. وسيعتمد هذا الترجيح على المنطلقات والقواعد العامة التي يهتدي بهديها مجمع اللغة العربية الأردني[٦].

أخيرا، فان هذه الدراسة ستقتصر على عدد محدود من مصطلحات الاتصال الجماهيري الاساسية. وهي لذلك لن تخرج عن ان تكون دراسة استكشافية أولية في الحدود المرسومة لها.

المصطلحات ومناقشتها

١ . اتصال وتواصل

تميل غالبية الباحثين العرب الى استعمال كلمة الاتصال للتدليل على مقابلتها الانجليزية (Communication). غير ان بعض الباحثين لا يميزون بين مصطلحي «اتصال» و «تواصل»، فنجد أن أحدهم يقول مثلا: «وبالرغم من ان منهج «الاتصال» أو «التواصل» في البحث...»(٧). وفي الحقيقة، فان هنالك فرقا بين المصطلحين. ولقد ناقش هذه المسألة الباحثان غسان يعقوب وجوزف طبش في كتابهما «سيكولوجيا الاتصال والعلاقات الانسانية»، وعملا على تباين الفروق بين «اتصال» و «تواصل»، بموجب أسس لغوية وعلمية، على النحو التالي:

> «نقول في اللغة العربية واصل وتواصل (فاعل، تفاعل) والمصدر هو «وصال» و «مواصلة». ويشير فعل «تواصل» الى حدوث المشاركة في الفعل بين الطرفين، ويكون نقيض «تواصل» في تهاجر وتنافر وتقاطع. ويعني الوصال الرغبة في اقامة العلاقات مع الآخر، وعادة تكون هذه العلاقة ذات طابع جنسي أو عاطفي. ان «التواصل» يعني اذن استمرار العلاقة المتينة بين الأثنين، أو بتعبير آخر، انفتاح الذات على الآخر في علاقة حية لا تنقطع حتى تعود من جديد.... في «الاتصال»، هناك رغبة من احد الطرفين باتجاه الاخر، وهذا الاخر قد يستجيب ويتفاعل مع تلك الرغبة، أو قد يرفض وينغلق. أما في التواصل، فان التفاعل أو الرغبة في المشاركة تحدث من كلا الطرفين. واذا بحثنا في موضوع الاتصال والتواصل من الناحية الاجتماعية والعلمية، فاننا نلاحظ ان حياتنا المعاصرة... تقوم على الاتصال وليس على التواصل. ان وسائل الاعلام... تفرقنا يوميا في خضم الانباء المحلية والعالمية، وتغزونا من كل حدب وصوب، وكأننا جهاز استقبال في معظم الاحيان. نحن على اتصال دائم بالعالم كله ولكن من طرف واحد...»(٨).

وبناء على هذه المناقشة، فان استعمال مصطلح الاتصال – كما في الاتصال الجماهيري – يفي بالغرض العلمي، على أساس ان العلاقة القائمة بين المرسل والمستقبل هي علاقة أحادية، تقوم على توجيه الرسائل الى المتلقين، وان دور هؤلاء، في الاغلب، يقتصر على استقبال المعلومات التي تبثها وتنشرها وسائل الاعلام. لكن هذا لا ينفي حدوث التفاعل والمشاركة، فيتحول الاتصال الى عملية تواصل. وهكذا يصبح التواصل هو الهدف الذي نسعى اليه من تحقيق الاتصال.

٢ . اتصال وجاهي

يستعمل الباحثون العرب مصطلح «الاتصال بين فردين» أو «الاتصال الشخصي» أو «الاتصال المواجهي» للتعبير عن المقابل الانجليزي لمصطلح (Interpersonal Communication). ومن الامثلة على ذلك. قول الدكتورة جيهان رشتي: «والاتصال بين فردين أو الاتصال الشخصي هو العملية التي تحدث يوميا حين نعطي ونتلقى أوامر، أو ندخل في مناقشة.... والاتصال الشخصي يحدث حينما يكون هناك تفاعل بين نظامين ذاتيين أو أكثر»[٩]. لقد استعملت هذه الباحثة مصطلحين مختلفين هما: «الاتصال بين فردين» و «الاتصال الشخصي» للتعبير عن المصطلح الأجنبي الواحد. والحقيقة، ان الباحثة قد نقلت بنفسها صحة استعمالها لمصطلح» الاتصال بين فردين»، حينما ذكرت في نهاية جملتها المقتبسة أن الاتصال قد يكون بين «أكثر» من شخصين. وتلجأ الباحثة الى استعمال مصطلح ثالث للمصطلح الاجنبي نفسه، غير المصطلحين السابقين اللذين استعملتهما، وفي مكان آخر من كتابهما، هو «الاتصال المواجهي»[١٠].

ويستعمل الدكتور ابراهيم امام تعبير الاتصال الشخصي[١١]؛ في حين يستعمل الدكتور أحمد بدر الاتصال المواجهي[١٢]، والاتصال الشخصي[١٣]، في الكتاب نفسه.

وواضح ان كلمة «شخصي» هي ترجمة لكلمة (Personal) الانجليزية – وهي لذلك لا تفي بالغرض المقصود منها في هذا المجال، ذلك ان الكلمة المقصودة هي (Interpersonal).

ولتحديد معنى المصطلح بدقة، فان الباحث (بارنلند) يقول ان هذا النوع من الاتصال يحدث حين يلتقي شخص بآخر، أو أكثر، وجها لوجه، فيتبادلون الرموز (اللفظية وغير اللفظية) و المعلومات، مباشرة دون وسيط آلي، فيحدث التفاعل بينهم، لانهم أعطوا جُلّ انتباههم بعضهم لبعض (١٤).

وبناء على هذا، فان المصطلحات السابقة الذكر جميعا، باستثناء مصطلح الاتصال المواجهي، لا تؤدي الى اعطاء المعنى المناسب الذي يتوافق مع هذا التعريف.

أما مصطلح الاتصال المواجهي، فيظل أقربها وانسبها لاعطاء المعنى المناسب، على الرغم من التحفظ عليه، بسبب عدم سهولة لفظه. وهذا يترك المجال مفتوحا لاقتراح مصطلح جديد، قد يكون أكثر مناسبة من سابقيه، وهو مصطلح «الاتصال الوجاهي». ومما يعزز من صحة هذا المصطلح وملاءمته أكثر من غيره، اعتماد المحاكم الأردنية لتعبير «وجاهي»، لدى نشر المذكرات التي تتعلق ببعض الدعاوى في الصحف المحلية، على نحو يكاد يكون يوميا. ومن مثل ذلك ما يرد في نص الحكم على النحو التالي: «... فان الحكم الذي سيصدر في الدعوى يعتبر بمثابة الوجاهي، أو يكون «قرارا وجاهيا بحق المدعي وبمثابة الوجاهي بحق المدعى عليه».

ومن ناحية لغوية، فاننا نقول في اللغة العربية «واجه فلان فلانا»، أي لقيه وجاها ومواجهة. وفي معجم «متن اللغة» فان كلمة (واجهه) تعني قابله، أي لقيه وجها لوجه، ولقيه وجاها ومواجهة، كذلك، فان معجم «محيط المحيط» يذكر ما يلي: «واجهه مواجهة ووجاها أي قابل وجهه بوجهه، ويقال لقيه مواجهة ووجاها».

من هنا، فان شيوع استعمال تعبير «وجاهي» في المصطلح المعمول به في القضاء الأردني، وبسبب صحة استعمال القاموس لهذا المصطلح، وقربه من المعنى الذي حدده (بارنلند) أكثر من بقية المصطلحات، فاني أرى استعمال مصطلح «الاتصال الوجاهي»، ليعني ذلك الاتصال الذي يحدث وجاهيا، أي حين يقابل المتصلون (المرسلون والمتلقون) بعضهم وجها لوجه، أو مواجهة.

٣ . رجـــع

ولتعريب مصطلح (Feedback)، يستعمل الباحثون العرب مصطلحات متعددة، مثل الصدى»[١٥]، أو «التغذية الراجعة»[١٦]، أو «التغذية الارتجاعية»[١٧]، أو «رجع الصدى أو التأثير المرتد»[١٨].

ويعرف الباحث (شرام) مفهوم الـ (Feedback) بانه رجوع المعلومات عن الرسالة الى المصدر الذي ارسلها[١٩].

وفي اللغة العربية، فان «المعجم الوسيط» يبين ان (الراجعة) تعني نوعا «من الحمى تذهب وترجع». وفي معجم متن اللغة تعني (الراجعة): «الناشغة من نواشغ الوادي أي المجرى من مجاريه... والناقة تباع بثمن ويشترى بثمنها مثلها، فالثانية راجعة ورجعية». وفي معجم «محيط المحيط»، يعني رجع الصدى «ما يرده عليك المكان الخالي اذا صوّت فيه».

بالمقابل، فاننا نكتشف في «المعجم الوسيط» (رَجْع) بمعنى «جواب الرسالة». وفي تقديري ان هذا هو المصطلح الذي نريده في اللغة العربية، خاصة أن معناه يتفق تماما مع التعريف السابق.

٤ . متصـــل

يستعمل بعض الباحثين العرب مصطلح «القائم بالاتصال»[٢٠] لمقابله الانجليزي -(Communicator)- للشخص الذي يبادر الى تبادل الرموز والمعلومات مع الآخرين، سواء أكان ذلك الشخص مرسلا أم مستقبلا.

وفي هذا الصدد، فان معجم «محيط المحيط» يبين ان «المتصل» هو «ذو الاتصال».

وفي تقديري، أن «المتصل» هو المصطلح المناسب الواجب استعماله. وفي هذا المجال، يصبح «المتصل» الشخص الذي يرسل المعلومات والرموز، أو الشخص الذي يستقبلهما، سواء بسواء.

٥ . صورة نمطية

يشير مفهوم الـ (stereotype) الى «اتجاه الانسان لنسبة صفات الى شخص معين باعتماد الطبقة أو الفئة التي ينتمي اليها ذلك الشخص»[٢١]. ومن مثل هذا، اعتبار ان جميع الايرلنديين يتصفون بطبع متفجر، أو ان السود كسالى. وعلى الرغم من ان مثل هذه التعميمات تحظى بقبول الناس لها، الا انها ليست صحيحة.

وفي مواجهة هذا المصطلح، نلاحظ تخبطا واضحا عند الباحثين الاعلاميين العرب. فمنهم من يستعمل «صور منطبعة»[٢٢]، أو «الأنماط الجاهزة الجامدة»[٢٣] أو «القوالب المطبوعة»[٢٤] أو «أنواع الاستريو»[٢٥].

وفي اعتقادي ان المصطلح المناسب لهذا التعبير هو «الصورة النمطية»، على أساس ان هذه تعني ان المرء يحمل صورة في ذهنه تجعله يعمل على تنميط الاشياء، أو الأشخاص، ضمن قوالب تعبيرية جاهزة. ومما يعزز هذا الاعتقاد ان الـ (Stereotype) هي نوع من الـ (image)، أي الصورة العقلية التي يحملها المرء من شيء ما أو شخص ما. وفي حين أن الأولى تكون صورة ضعيفة باهتة لا تستند الى معرفة واسعة فتدفع بصاحبها الى التنميط، فان الثانية تكون، للمعنى الذي تمثله، أوسع واشمل، وتعتمد في تشكيلها على معلومات وافية.

خاتمـــة

تتميز المصطلحات التي أوردناها (الاتصال، التواصل، الاتصال الوجاهي، الرجع، المتصل، الصورة النمطية) بدقة معناها الذي تمثله، وباقترابها كثيرا من المعنى الحقيقي للمصطلح الاجنبي، علاوة على انها نابعة من التراث العربي القاموسي الصحيح. وبالاضافة الى هذا، فان استعمال مصطلح مثل «الرجع» أو «المتصل» يؤدي الى اقتصاد في الالفاظ، اذ يتم استعمال كلمة واحدة بدلا من كلمتين اثنتين (تغذية راجعة، وقائم بالاتصال) لكل منهما، وهذه دلائل ناصعة على تميز لغتنا وجزالة الفاظها.

ان العبرة التي يمكن ان نخرج بها من استعراض هذه المصطلحات ومناقشتها، هي أن الباحثين العرب في ميدان الاتصال الجماهيري لا يبذلون الجهد الصادق في التنقيب

في المعاجم العربية عن مصطلحات محددة تعبر عن واقع المصطلح المراد تعريبه، تعبيرا صحيحا ودقيقا. ومن هنا تأتي ضرورة قيام المجامع العربية بالتعاون مع الجهات المختصة، مثل الجامعات للعمل على ايجاد المصطلحات المناسبة، وتعميمها في قوائم على المعاهد الاعلامية العربية المختلفة للالتزام بها.

الهوامش

(1) Agee, Warren R., phillip H. Ault, and Edwin Emery. **Introduction to Mass Communication,** New York: Harper & Row publishers. 1985, pp. 364-5.

(٢) أديب مروة. الصحافة العربية: نشأتها وتطورها. بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦١، ص ١٤٢.

(٣) د. مصطفى المصمودي. النظام الاعلامي الجديد. الكويت: سلسلة عالم المعرفة، ١٩٨٥: ص ٢٤٠.

(٤) د. محمود ابراهيم. «تعريب العلوم الانسانية»، مجلة مجمع اللغة العربية الاردني، العدد المزدوج ٥-٦، ١٩٧٩، ص ٤٦.

(٥) د. عبد الكريم خليفة. «دور التراث العلمي في تعريب العلوم والتقنيات»، مجلة مجمع اللغة العربية الاردني، العدد المزدوج ٣-٤، ١٩٧٩، ص ٧.

(٦) د. محمود السمرة. «تجربة مجمع اللغة العربية الاردني في تعريب العلوم»، مجلة مجمع اللغة العربية الاردني، العدد المزدوج ١٥-١٦، ١٩٨٢، ص ١٠٠، حيث يتم ذكر المنطلقات التي يهتدي بها مجمع اللغة العربية الاردني في التعريب، كما استنتجها الباحث من الممارسات العملية وهي:

«١ - أن يكون المقابل العربي معبرا تعبيرا دقيقا عن المصطلح الاجنبي.

٢ - أن يكون المقابل العربي معبرا عن الوظيفة التي يدل عليها المصطلح الاجنبي، اذا كان النقل الدقيق لالفاظه يخرج به، في العربية، عن وظيفته.

٣ - أن يكون المقابل العربي للمصطلح الاجنبي عربيا تراثيا، كلما كان ذلك ممكنا.

٤ - أن يكون المقابل العربي للمصطلح الاجنبي هو المصطلح الاجنبي، مع تحوير يجعل له جرسا عربيا، اذا اعيانا وضع المقابل العربي بطريقة من الطرق السابقة.

٥ - أن يكون المقابل العربي للمصطلح الاجنبي هو نفسه، اذا كان من الشيوع والذيوع بحيث أصبح علماً.

(٧) د. زكي الجابر. «نظرية الاتصال والتكامل العربي»، مجلة شؤون عربية، العدد ١٧، ١٩٨٢، ص ٢١١.

(٨) د. غسان يعقوب وجوزف طبش. سيكولوجيا الاتصال والعلاقات الانسانية. بيروت، دار النهار للنشر، ١٩٧٩، ص ١١-١٢.

(٩) د. جيهان رشتي. الاسس العلمية لنظريات الاعلام. القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٥، ص ١٠٩.

(١٠) المصدر السابق، ص ٥٥١.

(١١) د. ابراهيم امام. الاعلام والاتصال بالجماهير. الجيزة، ١٩٨١، ص ٢٨.

(١٢) د. أحمد بدر. الاتصال بالجماهير بين الاعلام والدعاية والتنمية. الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٨٢، ص ٢٣٠.

(١٣) المصدر السابق، ص ٥٧.

(14) Barnlund, Dean, ed. **Interpersonal Communication: Survey and Studies.** Boston: Houghton Mifflin Co., 1968, p.6.

(١٥) د. ابراهيم امام، مصدر سابق، ص ١٣٣.

(١٦) د. غسان يعقوب وجوزف طبش، مصدر سابق، ص ٦٦.

(١٧) وارن أجي، فيليب اولت، ايدوين ايمري. وسائل الاعلام: صحافة، اذاعة، تلفزيون. ترجمة ميشيل تكلا. القاهرة: مكتبة الوعي العربي، ١٩٨٤، ص ٢٠.

(١٨) د. جيهان رشتي، مصدر سابق، ص ١٢٣.

(19) Schramm, Wilbur. **Men, Messages, and Media.** New york: Harper and Row Publishers, 1973, p. 51.

(٢٠) د. جيهان رشتي، مصدر سابق، ص ٥٨؛
د. أحمد بدر، مصدر سابق، ص ٥٩.

(21) porter, Richard E. "An Overview of Intercultural Communication," in **Intercultural Communication: A Reader,** Larryy Samovar and Richard Porter, eds., Belmont: Wadsworth Publishing Co., 1972, p, 8.

(٢٢) د. جيهان رشتي، مصدر سابق، ص ٥٣٤.

(٢٣) د. احمد بدر، مصدر سابق، ص ١٣٣.

(٢٤) د. احمد بدر، مصدر سابق، ص ١٣٠.